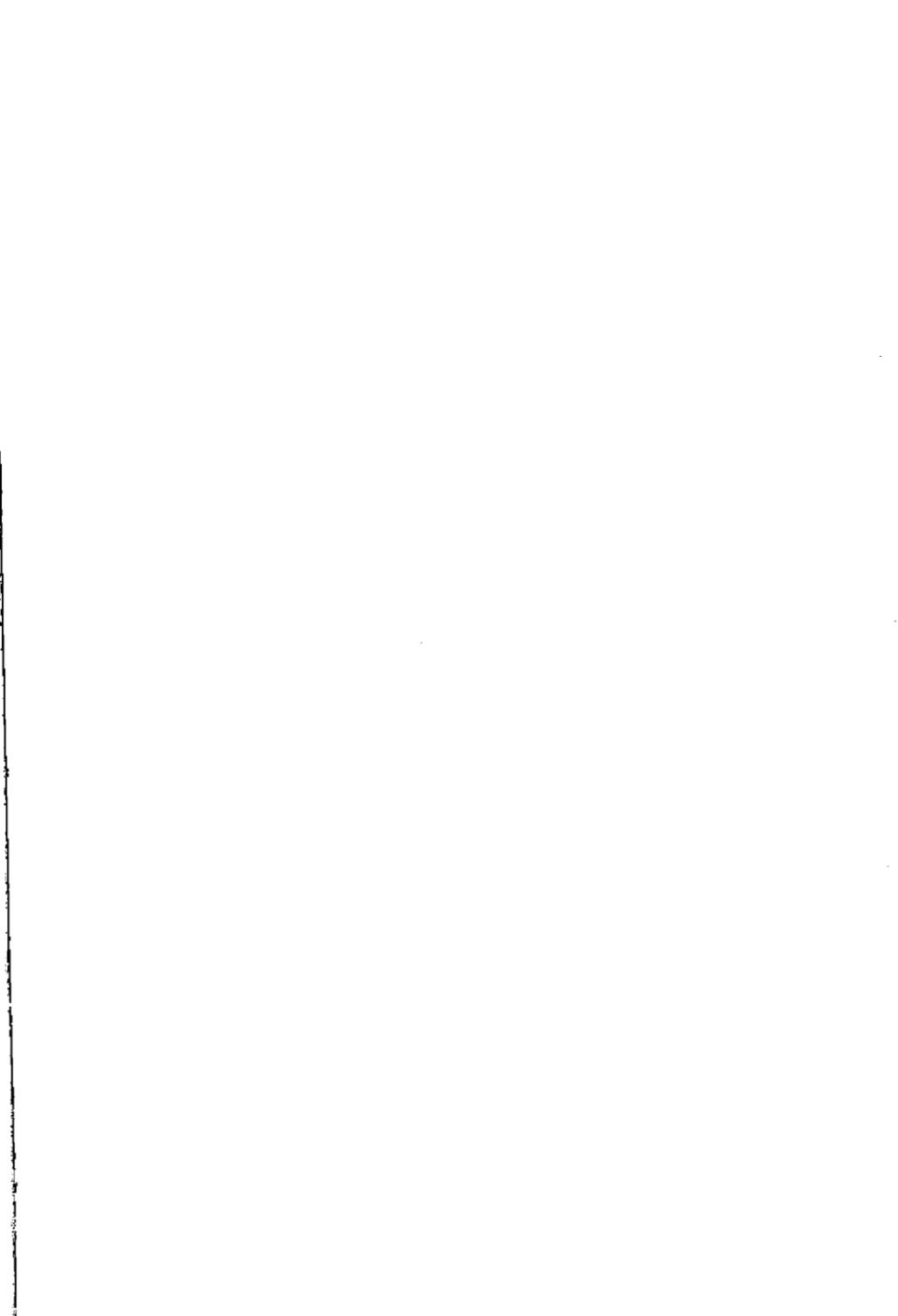


## **الفصل الأول**

**النهي عن التبطل**



## النهي عن التبتل

في بعض الأحوال تتاب الإنسان يقظة روحية تنطلق به إلى حيث التبتل والانقطاع عن كل شأن من شئون الدنيا ويسير في طريق الرهينة المنافي لطبيعة الإنسان وفطرته ولطبيعة الدين الإسلامي ونبيه ﷺ، وقد حذر الإسلام من ذلك نظراً لأن الإسلام دين ودنيا ومعاملة.

أصل معنى التبتل الانقطاع، تقول: تبتل تبتلاً أي انقطع انقطاعاً. ومنه مريم البتول لانقطاعها عن الزواج إلى العبادة، وفاطمة البتول لانقطاعها عن الأزواج غير علي، أو لانقطاعها عن نظرائها في الحسن والشرف والقرب والمحبة من رسول الله ﷺ، ثم استعمل في ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع عن النساء وترك النكاح والانقطاع إلى الله تعالى بالترغ لعبادته.

وقد نهى الرسول ﷺ عن التبتل (١) وخاصة للقادر على الزواج وهذا يتضح من هذا الحديث.

عن ابن عباس: أن رجلاً شكاً إلى رسول الله ﷺ العزوبة فقال: ألا أختصي؟ فقال "ليس لنا من خصي أو اختصي" [رواه الطبراني].  
ويقال إن الصحابي الجليل عثمان بن مظعون ﷺ قد أراد أن يتبتل وأقبل على الله بصيام النهار وقيام الليل.

(١) التبتل : الانقطاع عن الزواج وما يتبعه من الملاذ إلى العبادة.

وأنه كان ممن أراد أن يحرم النساء على نفسه في نفر من الناس فأنكر عليهم رسول الله ﷺ وبين لهم أن من سته أن يتزوج النساء. كما تبين أن عثمان رضي الله عنه قد منع نفسه من امرأته فنهاه رسول الله ﷺ وأمره بموافقتها. والوسيلة التي كان سينفذ بها عثمان مراده هي الاختصاص.

والسبب في اختياره هذه الوسيلة هو للتفرغ للعبادة حيث إن الإنسان قد فطره الله ميالا إلى الزواج لا يستغنى عنه ولا يملك أمر نفسه فيمنعها من ميلها الفطري هذا، فإذا قهر نفسه وقضى على الدوافع التي تحركه ملك أمر نفسه لأنه بذلك يقطع الشهوة بالمرة، ويتسنى له الإقبال على العبادة.. ووجد أن الوسيلة التي بها يمكنه تحقيق ذلك هي الاختصاص وبغير هذا يعجز الإنسان عن تحقيق تلك الغاية.

ولما علم الرسول بذلك نهاه عنه.. والكثير من الأحاديث تناولت هذا الموضوع ومنها:

عن سعد بن أبي وقاص (١) قال: رد رسول الله ﷺ على عثمان ابن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا.. وفي رواية أخرى عنه "أراد عثمان بن مظعون أن يتبتل فنهاه رسول الله ﷺ ولو أجاز له ذلك لاختصينا" (٢).

(١) سبينا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان من السابقين إلى الإسلام فهو ثالث ثلاثة دخلوا الإسلام وكان أول مهاجر يموت بالمدينة ويدفن بالبيعة.

(٢) البخاري ج ٣ ص ١٥٩ صحيح مسلم ج ٩ ص ١٧٩.

ولقد كانت قصة عثمان وأصحابه سببا لنزول آية كريمة من القرآن الكريم. فعن عكرمة أن عثمان بن مظعون وعلى بن أبي طالب وابن مسعود والمقداد بن الأسود وسالما مولى أبي حذيفة تبتلوا فجلسوا في البيوت واعتزلوا النساء ولبسوا المسوح وحرموا طيبات الطعام واللباس إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بنى إسرائيل وهووا بالاختصاص وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار فنزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرُمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

فلما نزلت فيهم هذه الآية بعث إليهم رسول الله ﷺ فقال: "إن لأنفسكم حقا وإن لأعينكم حقا صوموا وأفطروا وصلوا وناموا فليس منا من ترك ستتنا" فقالوا اللهم سلمنا وأتبعنا ما أنزلت أهـ (١).

وفي حديث آخر روى عن أنس ؓ أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا أكل اللحم، وقال بعضهم لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه فقال: "ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكنني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني".

وأوضح في قوله ﷺ "وأتزوج النساء" إن الزواج سنة الله في

خلقه به تصان الأعراض وتحفظ الأنساب وتغض الأبصار وتحصن الفروج وبه تقوم الأسر الطيبة، والمقبل على العبادة أحوج من غيره إلى النساء ليصفوه له وقته مع ربه وليتفرغ عن شغله بغيره، ولكي يستمتع بما أحل الله له من الطيبات وليرزق بالولد الصالح حتى لا ينقطع ذكره، ولكي يعف امرأة ولكي يتعاوننا على مرضاة الله - عز وجل - ولكي يرتبط بأهلها فتكون المودة والرحمة والتعارف، ولكي يقضى الحاجة الفطرية التي فطر عليها كل إنسان وهى حب النساء والميل إليهن والرغبة فيهن.. وإذا حسنت نية الإنسان في زواجه كان عبادة يثاب عليها. كما قال ﷺ: " وفي بضع أحدكم صدقة " (١) ولن تستقيم الحياة ولن تستقر أمورها إلا بالزواج.. ومن أجل ذلك تزوج الأنبياء والصالحون، وخص رسول الله ﷺ بمزيد من النساء لمصلحة الدعوة.

#### • فهل نفهم من هذا أن التبتل منهي عنه؟

الحقيقة أن التبتل بمعنى الإخلاص في العبادة غير منهي عنه كما جاء في الآية: ﴿وَأذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتَلًا﴾ [المزمل: ٨] ولكن التبتل بمعنى الابتعاد عن الحياة الدنيا فهو منه عنه، فلربك عليك حق ولنفسك عليك حق ولأهلك عليك حق ويجب أن تعطى كل ذي حق حقه.

\*\*\*